المستوى: السنة الثالثة ليسانس التخصص: أدب عربي

المقياس: الأدب العربي والاستشراق الفوج: الثاني

الأستاذ: نور الهدى غرابة

المحاضرة الثالثة

مدارس الاستشراق: الفرنسية والانجليزية، الألمانيّة.

ركزت الدراسات الاستشراقية على مختلف الجوانب الحضارية مثل السياسية، الفلسفية، الدينية، الاقتصادية وغيرها .وقد تميزت كل مدرسة استشراقية بتوجهات خاصة تعكس اهتماماتها .فعلى سبيل المثال، اهتم الاستشراق الفرنسي والهولندي بالجوانب اللغوية والأدبية، فيما ركزت المدرستان الألمانية والفرنسية على تحقيق ودراسة المواضيع العلمية في الحضارة العربية .من جهة أخرى، انصب اهتمام الاستشراق البريطاني والألماني على دراسة العقائد الإسلامية والدين الإسلامي، بينما توجهت المدرسة الروسية لدراسة التراث بشكل خاص، سنستعرض بشيء من التفصيل تطورات وخصائص كل مدرسة استشراقية، لنبدأ بالمدرسة الفرنسية كما يلي:

أولا- المدرسة الفرنسية:

تعود العلاقة بين فرنسا والشرق إلى قرون من الزمن، ولعل الفتوحات الاسلامية التي طالت بعض الأراضي الفرنسية أسهم في تقريب علاقات التواصل ومن ذلك الحروب الصليبية، والنهضة الأوروبية، واحتلال شمال افريقيا، وحملة نابليون بونابرت على مصر وفتح قناة السويس، فكانت هذه العلاقات بمثابة تبادل ثقافي بين الشرق والغرب.

1- مؤسسات المدرسة الفرنسية:

تعد المدرسة الاستشراقيّة الفرنسية من أهم مدارس الاستشراقو" أغناها فكرا وأخصبها انتاجا وأكثرها وضوحا، ويعود سبب ذلك للعلاقات الوثيقة التي تربط فرنسا بالعالم العربي

والإسلامي، قديما وحديثا"[1]، وما حفظه التاريخ أن فرنسا كانت حاضرة دائما في معظم علاقات العرب، دولة مستعمرة وفي حالات السلم أيضا، ولما وصل العرب للحدود الفرنسيّة أربكها ذلك وجعلها تعيد ترتيب علاقاتها، والباحث في تاريخ علاقتها مع العرب يجدها على صله منذ الخلافة العباسيّة في أيام شارلمان والرشيد، وكذلك في الحروب الصليبيّة، الأمر الذي جعلها تفكر في احتلال أجزاء كبيرة من العالم العربي.

"ومنذ الثورة الفرنسية 1789 أُنشِئت مؤسسة جديدة هي مدرسة اللغات الشرقية، وكانت اللغات التي تدرس – بموجب تلك المعاهدة – هي العربية الفصحى والعامية، وبوسعنا أن نعتبر أن العقدَ الأخير من القرن الثامن عشر انطلاقةٌ حقيقية للدراسات الشرقية الفرنسية"[2]

وبدخول القرن العشرين ظهر تحول واضح في الاستشراق الفرنسي؛ فقد سمح بإنشاء المدرسة العلمية للدراسات العليا في باريس، مما أدى إلى تجديدِ المواد المتنوعة والمتخصصة في الدراسات الاستشراقية، وظهر أساتذة متميزون؛ من أمثال" :لويس ماسينيون"، "وليم مارسيه"، و"جورج مارسيه"، و"جان داني[3]"، هذا التاريخ المستمر جعل فرنسا واحدة من أولى الدول الأوروبية التي اهتمت بالدراسات العربية والإسلامية، بهدف الاستفادة منها وترجمة الآثار والمخطوطات .كما أرسلت طلابها إلى مدارس الأندلس لتعلم الطب والفلسفة.

تم إنشاء **"المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية"** في باريس (1795) للسفراء والقناصل والتجار، وبعد أن تولى **"سلفستر دي ساسي"** تدريس اللغة العربية والفارسية فيها أصبحت منارة للطلاب يتهافتون عليها من مختلف الدول الأوروبية كألمانيا، ايطاليا، النمسا وغيرها ولم تزدهر مدرسة استشراقية كمثلها. كما عرفت فرنسا إنشاء جامعة تولوز سنة 1217، وجامعة بوردو سنة 1441، وقد أنشأ الملك فرانسوا الأول كرسيا للعربية والعبرية سنة 1519 بريمس.[1]

2- خصائص الاستشراق الفرنسي:

- الوضوح في الافصاح والجلاء في التعبير والدقة في البحث.

---

[1] محمد فاروق النبهان، الاستشراق تعريفه، مدارسه، آثاره، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، المغرب، 2012، ص22.

[2] روبير منتران: سلسلة الثقافة المقارنة "الاستشراق"، ج2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1987، ص34

[3] المرجع نفسه، ص35.

- تعد المدرسة الفرنسية مرجعا للعديد من المستشرقين، لاسيما الألمان والانجليز الذين تتلمذوا في المدارس والجامعات الفرنسية،
- ركزت المدرسة الفرنسية على دراسة الجانب الديني بسبب الفتح الاسلامي الذي طال بعض أراضيها، وكذا الجانب اللغوي (العربية/ العبرية/ الآرمية/التركية/) سعيا إلى قراءة الشرق والتعرف عليه عن قرب، وكذا الاهتمام بالجانب الاستعماري فقد كان هدف المدرسة الفرنسة التبشير بالنصرانية من جهة والسعي الى استعمار الأراضي الاسلامية كشمال افريقيا.
- مدرسة الاستشراق الفرنسية هي المهيمنة على الدراسات الاستشراقية ففيها أكبر عدد من الجامعات والمكتبات.

3- أهم أعلام المدرسة الفرنسية:

أ- سلفستر دي ساسي: هو أنطوان سلفستر دي ساسي ابن أبراهام جاك سيلفيستر دي ساسي ولد سنة 1758،تعلم العبرية والعربية ودرس الحقوق، التحق بإدارة سك العملات سنة 1781، وكانت له معرفة كبيرة بالترجمة وكذا اتقانه للغة التركية، الألمانية، الاسبانية، الايطالية، الانجليزية. وفي سنة 1778 عين ضمن أعضاء لجمعية نشر كنوز المخطوطات الشرقية في مكتبة باريس الوطنية فوضع بحثين في تاريخ قدماء العرب وأصل آدابهم، وتحقيقا في أربعة كتب عربية عن فتح اليمن، ما جعله من كبار المستشرقين في زمانه ومن أعضاء مجمع الكتابات والآداب سنة 1785. وقد عين دي ساسي أستاذا للعربية في مدرسة اللغات الشرقية عندما لم يكن لها من قواعد سوى كتاب إربانيوس، وبانضمامه إليها بدأ العصر الذهبي للمدرسة إذ أصبح المستشرقون يتهافتون عليها من كل مكان، حرص على تدريس اللغة العربية الفصحى دون العامية باعتبارها أرفع منزلة ولأن دي ساسي كان متقنا للعربية الفصحى.

استطاع دي ساسي أن يتوسع في استعمال نتائج وملاحظات وتأكيدات النحويين العرب، فاهتم بالشرح اللغوي لفهم التعليقات التعليمية والمعجمية، وذلك ظاهر في أنه عالج النحو من وجهين: مرة بموجب (قواعد الفرنسية العامة) بشكل مسهب وبشكل رئيس من النصوص المستفادة من كتاب مارجليوث (التراكيب العربية) وفق ما أورد النحاة العرب.[2]

أرنست رينان:

المولود عام 1822 في مقاطعة بريتاني الفرنسية، كرس حياته للبحث العلمي العقلاني الذي يعتقد أنه أهمله أتباع محمد .ألّف كتابًا عن الفيلسوف الكبير ابن رشد، مركزًا على تأثير فلسفته التي ألهمته وأتباعه، حتى عرفوا كرواد للمدرسة الرشدية .هذه المدرسة الفكرية انقسمت إلى فرعين رئيسيين :المدرسة الرشدية اللاتينية والمدرسة الرشدية العبرية، بينما ظل ابن رشد مصدر الإلهام والمرجعية لجميع الأطياف والاتجاهات .على الرغم من مكانته العلمية، قدم رينان بعض الادعاءات غير الدقيقة عن الدين الإسلامي .إلا أن جمال الدين الأفغاني واجهه بتفنيد علمي مدعوم بأدلة قاطعة في كتابه الإسلام والعلم .ما اضطر رينان في النهاية للاعتراف بضعف المصادر التي اعتمد عليها في كتاباته عن الإسلام .ورغم أن شخصيات بارزة مثل ميشيل سكوت، ألبير الكبير، توماس الأكويني، وأرنست رينان قد عبرت أحيانًا عن تحيز أو هوى في آرائهم، إلا أنهم جميعًا لم يتمكنوا من إنكار الحقائق المتعلقة بعظمة محمد وإسهاماته التي أثرت في تطور الحضارة الإنسانية من خلال أتباعه.

ب- لويس ماسينيون:1883- 1962 امتاز بنفوذ النظرة وعمق الاستبطان والقدرة على استنباط التيارات المستورة، كان قريبا من الأحداث السياسية حيث انخرط في التبشير للانتداب الفرنسي، وقد كان الراعي الروحي للحملات التبشيرية في مصر، فوضع نفسه في خدمة الاستعمار الفرنسي، فيحيي الأفكار الميتة لقتل المعاني الحية، وقد عين أستاذا بديلا في الكوليج دي فرانس سنة 1924 لكرسي دراسة الاسلام من الناحية الاجتماعية، ثم أصبح أستاذا دئما فيه.

بلغ عدد مؤلفات ماسينيون200 مؤلف: منها عالم الاسلام، الكنيسة الكاثوليكية والاسلام، أساليب تطبيق الفنون لدى شعوب الاسلام.

ثانيا– المدرسة الانجليزية:

تتميز المدرسة الاستشراقيّة الانجليزية بالعمق والدقة، كما أنها ذات صلة بالشرق خاصة بالشرق الأوسط والأقصى، وكانت صلة بريطانيا بالشرق قوية خاصة منطقة الخليج والعراق وفلسطين ومصر، بالإضافة إلى صلتها بالهند.

بدأت الدراسات الشرقية الأكاديمية في بريطانيا في وقت مبكر مع إنشاء السير توماس آدمز كرسي الدراسات العربية بجامعة كامبريدج عام 1632، ثم تأسيس كرسي آخر في أكسفورد عام 1636 .ارتبط اهتمام بريطانيا المتزايد بشبه القارة الهندية، خاصة بعد حرب السنوات السبع (1756–1763) وتراجع النفوذ الفرنسي فيها، بزيادة التركيز على المنطقة العربية والدراسات المتعلقة بها .ومع بروز الهند كجوهرة التاج البريطاني، أصبح الهدف الإستراتيجي للندن هو ضمان خطوط اتصال حيوية وآمنة باتجاه الهند، خاصة عبر طريقي البحر الأحمر والخليج العربي .نتيجة لذلك، تعمقت بريطانيا في شؤون المنطقة العربية في مختلف المجالات، باعتبارها الممر الطبيعي إلى الهند .سيطر الأسطول البريطاني على الخليج وعدن كقواعد إستراتيجية له، وتدخل في شؤون المشيخات المحلية لتعزيز نفوذه وضمان استمرار شبكة الاتصالات، مما أنهى فعليًا الدور الفرنسي المتراجع في تلك المناطق.
" ثم ازدهرتِ الدراسات الاستشراقية، لا سيما بعد حملة نابليون على مصر عام 1798م؛ حيث تلا ذلك اهتمامُ الإنجليز بمَيْدان الاستشراق نتيجةَ طابعِ المنافسة التي اتَّسم بها العصر بين الدولتين آنذاك، وقد تناول الاستشراق البريطاني سائرَ مناحي المعرفة الشرقية؛ من لغات، وآداب، وعلوم، وفنون، وتاريخ، وآثار، وكان على رأس المهتمِّين بالدراسات العربية : "سيمون أوكلي "الذي تولَّى مهمَّة تدريس اللغة العربية في جامعة كمبريدج 1711، وألَّف كتابه الشهير) :تاريخ المسلمين(، الذي تناول التاريخ الثقافي والسياسي للإسلام"[4]

4. ميشيل جحا: الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، معهد الأنماء العربي، بيروت 1982، ص 33

ويرى البعض أن أبا الدراسات العربية في بريطانيا هو" William Bedwell وليم بدول1561) "م – 1632م)، خريج جامعة كمبريدج، وأستاذ العربية فيها، وكتب مقالة رائعة عن ضرورة دراسة العربية، وأسهب في ذكر قيمتها العلمية والأدبية"

– خصائص المدرسة الانجليزية:

لا تختلف المدرسة الانجليزية عن نظيرتها الفرنسية، إذ كان لها أبعاد استعمارية توسعية لترسيخ السياسات التبشيرية والاستعمارية للدول الأوروبية وفي مقدمتها فرنسا وانجلترا ونستطيع أن نوجز أهم خصائصها فيما يلي:

– الاهتمام والتركيز على دراسةاللغة العربية؛ سعيا منها إلى دراسة الشرق العربي وبسط نفوذها في دول الخليج وبعض الدول الشرق الأوسط، كمصر ، الأردن، فلسطين، العراق،..

– تعدد الدراسات الاستشراقية الانجليزية وفي مقدمتها دراسة العلوم الانسانية، دراسات اللغات الشرقية (العربية، العبرية،..) دراسة الطب، التاريخ، العمارة، والاستحواذ على ترجمات العرب لكتب الفلسفة اليونانية.

– التخصص في دراسة كل مستشرق فكلُّ مستشرقٍ له تخصُّصه الدقيق في أحد مجالات المعرفة الشرقية.

– الاهتمام بالانتروبولوجيا والاثنوغرافيا الخاصة بالمنطقة الجغرافية التي تقع تحت قبضتها الاستعمارية"مصر ودول افريقيا"، مع الإهمال الواضح لشمال إفريقيا؛ نظرًا لوقوعه تحت قبضة الاستعمار الفرنسي.

<u>أشهر روادها:</u>

– **جورج سال**1697م – 1736م: الذي تَرجَم القرآن الكريم، وأصبحت ترجمتُه من الترجمات الأساسية، إذ كان الهدف الأساسي هوالتعرفالاسلام، والتعرف بصورة خاصة على القرآن والرسولِ صلى الله عليه وسلم، والجدير بالذكر أن هذه الدراسات كانت مَشُوبة بالخيال والأسطورة حول شخصية الرسول – صلى الله عليه وسلم.

– **إدوارد هنري بالمر**(1882 – 1840) "، ركز على دراسة اللغة العربية وكان يقول عنها: إنها أحبُّ اللغات إلى نفسه، ومن العلماء البارزين في حقل الدراسات العربية.[3]

– **وليم رايت**(1889 – 1830) درس اللغة العربية، وعَمِل مدة في مدينة ليدن **Leiden** الهولندية مع المستشرق الهولندي الشهير دوزي، وعين أستاذا للغة العربية في جامعات لندن، ودبلن، وكمبريدج، وقام بتحقيق كتاب" **:الكامل للمبرد"، و"رحلة ابن جبير".**[4]

– **ريتشارد بيرتون** (1821 – 1890): درس العربية في جامعة أكسفورد، وقد زار مناطق عديدة في الوطن العربي، وخاصة الجزيرة العربية، وقد عمل ضابطًا عسكريًّا في الهند، ثم عمل في خدمة بلاده في مصر، وقام برحلات في الجزيرة، ونشر وصفًا لها في كتابه) :الحج إلى المدينة ومكة(، ولورنس المعروف باسم) :لورانس العرب(، ومرجليوث الذي كان أستاذًا للغة العربية بجامعة أكسفورد[5].

ثالثا: المدرسة الألمانيّة:

لطالما كانت الحروب الصليبيّة هي المحرك الاهم في علاقات الغرب المسيحي بالعالم العربي الإسلامي" ومن الطبيعي ان ينصرف الهتمام الالمان إلى دراسة اللغات الشرقيّة بعد ان بدأت هذه الدراسات تحظى باهتمام العلماء في فرنسا وانجلترا، وكانت علاقات ألمانيا مع الدولة العثمانيّة قويّة بسبب الروابط والمصالح السياسيّة والاقتصاديّة"[5] أنشأت ألمانيا في جامعاتها معاهد للغات الشرقية، وازداد الاهتمام بالدراسات العربية والاسلاميّة، كما يوجد في

5

برلين متحف للفن الإسلامي، أسس فلايشر الجمعية الشرقية الألمانية التي اهتمت بنشر ذخائر التراث العربي الإسلامي.

(1) بارت، رودي:1901–Rudi Paret عالم ألماني معاصر، اضطلع بالدراسات الشرقية في جامعة هايدلبرج، وكرَّس حياته لدراسة علوم العربية والإسلام، وصنَّف فيها عددًا كبيرًا من الأعمال؛ منها: ترجمته للقرآن الكريم التي استغرقت منه عشرات السنين، وأصدرها بين عامي "1876 – 1937

(2) بيكر، كارل هينرش:

مؤسِّس مجلة العالم الإسلامي، الذي اشتهرت عنه محبته عالَمي العروبة والإسلام؛ فقد وقف موقفًا نزيهًا في الدفاع عن النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – مسخِّفًا مَن اتَّهمه بالسحر والدجل، ورأى بالرسول رجلاً عظيمًا، جديرًا بكل محبة وتجلَّة، وتعظيم للمبادئ السامية التي نشرها، والتي هي قمينة بأن تتبع؛ له: "الشرقيون."
1963 و1966، وله كتاب عن النبي محمد – صلى الله عليه وسلم.

(3)جوته، يوهان:Goethe

شهدت مدينة فرانكفورت الألمانية ولادة يوهان فولفجانج جوته – الذي يعد رابع عظماء الأدب الغربي إلى جانب مؤلف) الإلياذة (الشاعر الإغريقي هوميروس، ومؤلف) الكوميديا الإلهية (الإيطالي دانتي، والشاعر البريطاني وليم شكسبير – في الثامن والعشرين من شهر أغسطس عام 1749، كان جوته من أسرة بروتستانتية، ووالده كان يعمل مستشارًا للقيصر؛ حيث كان متعلمًا وطموحًا، ودرس اللغة الإنجليزية في وقت مبكر من حياته, ثم التحق بجامعة ليبزيج سنة 1765 لدراسة القانون، ثم واصل دراسته 1770م في مدينة ستراسبورج, ثم استقرَّ في منصب قانوني بالقصر الإمبراطوري بالمدينة، في عام 1781م درس جوته علم التشريح والعظام, بينما درس الجيولوجيا في عام 1782م, ولكنه ترك دراستها بعد أن عيَّنه الإمبراطور جوزيف الثاني وزيرًا، ثم رقَّاه إلى رتبة نبيل، وزار مدينة البندقية 1786م, وتعرَّف فيها على زوجته كرتسيان فولبيوس التي أنجب منها ابنه الوحيد.

ثم استقر فيلسوفنا في هايدلبرج عام 1775م؛ ليكون مستشارًا مفوضًا لدى وريث عرش فايمر الألمانية الشرقية، شارل أوجست, وقد رقاه أوجست إلى وزير مكلف بالشؤون الثقافية والمعادن والغابات، و)انقعطت الأنوار(، وكانت هذه هي آخر كلمات ينطق بها جوته, وفاضت روحه إلى بارئها يوم 22 مارس 1832م.

(4)دوتوراك، رودلف "1852 – 1920:"

أستاذ اللغات الشرقية في جامعة براغ، الذي ترجم حياة أبي فراس الحمداني، ودرس شعره، في مؤلفه هذا.

(5)ديسون " 1817:" –

له كتاب" :الحياة والشرائع."

(6)رايسكه، يوهان جاكوب:(1774 – 1716 (Johann Jakob Reiske

يعد رايسكه مؤسس الدراسات العربية في ألمانيا؛ حيث بدأ تعليم نفسه العربية، ثم درس في جامعة ليبزيجLeipzig ، وانتقل إلى جامعة ليدن Leiden لدراسة المخطوطات العربية فيها، كما اهتم بدراسة اللغة العربية والحضارة الإسلامية، وإن كان له فضل في هذا المجال؛ فهو الابتعاد بالدراسات العربية الإسلامية عن الارتباط بالدراسات اللاهوتية، التي كانت تميز هذه الدراسات في القرون الوسطى) الأوروبية(؛ له: مدخل عام إلى تاريخ الإسلام.

(7)شمتز، باول:

لكتاب كتبه المستشرق الألماني) باول شمتز(، وقد عاش في القاهرة ربع قرن أثناء فترة الاستعمار، استطاع أن يرصد السر الكامن في ثبات المسلمين، وقوتهم في ممارسة الدور الإيجابي على مسرح السياسة العالمية؛) قوة الغد العالمية.(

(8)شميل، آنا ماري:"2003 – 1922" Annemarie Schimmel

من أشهر المستشرقين الألمان المعاصرين، بدأتْ دراسة اللغة العربية في سنِّ الخامسة عشرة، وتتقن العديد من لغات المسلمين؛ وهي: التركية، والفارسية، والأوردو، درَّست في العديد من الجامعات في ألمانيا، وفي الولايات المتحدة الأمريكية، وفي أنقرة، اهتمَّت بدراسة الإسلام، وحاولت تقديم هذه المعرفة بأسلوب علمي موضوعي لبَنِي قومها حتى نالتْ أسمى جائزة ينالها كاتب في ألمانيا، تسمى جائزة السلام، ولكن بعض الجهات المعادية للإسلام لم يَرُقْها أن تنالها هذه الباحثةُ المدافعة عن الإسلام في وجه الهجمات الغربية عليه، وحاولوا أن يمنعوا حصولها على الجائزة، وقد أدرك مكانة هذه المستشرقة العلاَّمة والداعية المسلم في أوروبا الدكتور" زكي علي "منذ أكثر من أربعين سنة؛ حين كتب يقول: "وعلى رأس المحرِّرين لمجلة) فكر وفن (الأستاذة الألمعية الدكتورة" آن ماري شميل "المتخصصة في دراسة" محمد إقبال "حكيم وشاعر باكستان، وترجمت إلى الألمانية، ديوان) جاويد نامة(، وكتاب) رسالة المشرق عن الفارسية(، وهي أستاذة بجامعة بون وغيرها، ومن كبار علماء ألمانيا، وتنصف الإسلام والمسلمين كثيرًا، جزاها الله خيرًا"، وقال عنها أيضًا: إنها أصدرت العديد من الكتب، منها كتاب) محمد رسول الله – (صلى الله عليه وسلم – بسطتْ فيه مظاهر تعظيم وإجلال المسلمين لرسول الله – صلى الله عليه وسلم.